وبين الشبيكة زجاجاً ملوّناً باللون المناسب لها فجاءت الصورة ملوّنة بالالوان البهيّة الجميلة

وقد اخترع العلماء طريقة لأن يحفروا الصفل ويصوّروا الصورة مرّةً واحدة بالوانها فوضعوا لذلك ادواتٍ شتى لا يسعنا هنا وصفها. وخلاصة القول انّ رسم الالوان على هذه الطريقة صار اليوم امراً واقعيّاً وبلغ فنّ التصوير الى درجةٍ لم تكن سابقاً في الحسبان

وقد افادتنا المجلّات العلميّة الاخيرة انّ المسيو غرتنر (Gartner) احد مصوّري جنيفة وجد الطريقة المثلى لتلوين الصور الشمسيّة بكل الالوان لاسيّما الالوان الناصعة وذلك بواسطة استحضار الصفائح والموادّ التي تُغمس بها. وسنعود الى هذا الاكتشاف اذا وقفنا على سرّهِ

وهنا نختم الكلام عن فن الفوتوغرافية شاكرين للمولى على ما اولانا بهِ من المنافع العديدة. فانك لا تكاد تجد اليوم صناعةً الّا تستفيد من هذا الفنّ العجيب كالحكومة في تقاريرها والطبّ والجراحة في عمليّاتهما وعلم النجوم في ارصادهِ الى ما لا يُحصى من الفوائد. فسبحان الخالق ما اعجب اعمالهُ وابدع صنعهُ

إطلاع الحضر على أطلاع النور

لحضرة الكاتب المحقق والعلّامة المدقق الاب انستاس الكرملي (لاحق بسابق)

٦ (عدد النور) قد علمتَ ممّا مرّ بك ان للنور اسماء تختلف باختلاف البلاد وامّتهم من قبائل واقوام شتى. وعليهِ فيحقّ لنا ان نذكر عددهم بموجب تلك الاسماء في تلك البلاد والجهات. وقد قلنا ان اسم «النور» متعلّق بهؤلاء خصوصاً في بلاد سوريّة. ولم نعثر على عددهم هناك. كما اننا لم نقع على ذكر عدد «النجر» في الاقطار المصريّة. امّا عدد «القربات» في ارجاء حلب الشهباء فيبلغ زهاء ١٢٠ خيمة على ما بلغني من احد الاصدقاء. ويبلغ عدد «القرج» ١٥٠ خيمة يصيّفون في جبال زوزان «وهي جبال تمتدّ من سعرت الى بُحيرة وان طولاً ومن الفُرات الى بلاد فارس عرضاً.

(كذا قيل لي . وقد اوردتُ هنا عبارة الكاتب نفسها والعهدة عليهِ في هذا التعريف الغريب) . ويشتُّون بالدَشْت ويحأُون في ٥ قرى من تلك الاصقاع " . ويبلغ عدد " المطربة " ٢٠٠ خيمة ويسكنون في جوار ٦ قرى من جبال زوزان صيفاً ومن الدَشْت شتاءً

ويبلغ عدد " الجُعَيدِيَّة " ٨٠ خيمة وهم في الجزيرة وبعض قُرى الشام . وعدد " الجنكانة " في ولاية الموصل ٦٠ خيمة لا غير . وعدد " الكاوليَّة " في بلاد العرب والعراق والجزيرة وبريَّة الشام ١٥٠٠ خيمة على ما قالهُ لي احدهم ولا اعلم منزلة هذا الكلام من الصحَّة لكني لا استغربهُ إذ انَّهم بالحقيقة كثيرون في هذه الديار العربيَّة . واماً عدد " الزطّ " في انحاء البصرة في يومنا هـذا فلا يتعدَّى ٧٠ خيمة . وعدد " الشاهسَوَن " في شمالي بلاد فارس ٣٢٠ خيمة . ويبلغ " النُيوج " ٤٥ بيتاً . و " التات " ٥٠٠ خيمة . و " القُفص " او " القُفس " ٢٨٠ أسرة ويبلغ عدد " الكَنْجو او الإرْشا " ١٧٠ خيمة وهذه الارقام كلها غير مضبوطة ضبطاً محكماً لان الذين استفسرتُ منهم عن عدد هؤلاء الاقوام هم اصدقاء لي منتشرون في تلك الاصقاع ولا يُخالطون النوَر الَّا عن بعدٍ

٧ (ملابسهم) ليس لهؤلاء الناس لباس خاصٌ بهم . فلباس النوَر الذين في بلاد العرَب لا يمتاز بشيء عن زيّ اهل البادية وهو عبارة عن كوفيةٍ او عقال يُشدّ بهما الراس وقباء طويل مع منطقة في الوسط . وعلى القباء ردا . ولا تزد على ذلك . وزيّ نسائهم كزيّ النساء الاعرابيات من درَّاعة وصدار وخمار وعمار ليس الَّا . واماً النوَر الذين في بلاد فارس ونواحيهـا فلباسهم كلباس الاكراد اي انك تجد على رؤوسهم كُلَاهاً (الكُلَاهُ قَلَنْسوة طويلة من اللبد او نحوهِ) او كُتَّة بطحاء او مستديرة تكون من لبدٍ غالباً . وقد يُشدُّ على كل منهما لفافة من ايّ نسيج كان وعليهم قباء قصير يلبسون فوقهُ قُرْدُمانيًا ولهم منطقة من النسيج وقد تكون عريضة ويُحبون من الثياب ما كان منها بالوانٍ زاهية وتُرى عن بُعد . ولهم بمنزلة دثار نوع من العباء يُتَّخذ من اللبد يُسمُّونهُ " كُبْنة او جُبَّة " وهذه يلبسونها في أيام الشتاء . ولباس نسائهم كلباس نساء الاكراد وهو تقريباً كلباس النساء الاعرابيات

واما لباسهم بوجه العموم فليس لهُ هيئة خصوصيَّة بل انَّما يلبسون ما يتيسَّر لهم

سرقتهُ او سلبهُ او ما يقع تحت ايديهم مهما كان لونهُ او شكلهُ او قطعهُ والذين منهم يكونون في الجبال يتخذون الاسلحة المشهورة في البلاد التي هم فيها. وكذلك يتخذون أسلحة في اسفارهم البعيدة

٨ (ملامحهم) لبني ساسان ملامح تكاد لا تتغيَّر أينما حلُّوا والى اين رحلوا كأنَّ هواء البلاد راديَها لا يفعلا ببزلاء القوم فعلهما بسائر خلق الله فان تقاطيع نوَر الجبال كتقاطيع نوَر السهول وملامح نور الشمال كملامح نور الجنوب واول مميز لهم سُمرة الوانهم او نحاسيَّتها ونحافة ابدانهم وضآلتها فانني لم ار في جميع البلاد التي وطئتُها «نوريًا» ابيض اللون او سمين البدن مع اني جُلتُ في اغلب الأقطار الاوربيَّة واغلب بلاد الشرق الادنى. ومن مميزاتهم طول القامة ورشاقتها وبياض الاسنان المتناسقة رسعة الشدق ورقَّة الشفتين واستواء قصبة الانف مع عظم المارن والرَّوثة وطول اللسان مع دقته حتى يصدق على اغلبهم قول القائل: «يضرب بلسانهِ روثة انفهِ» وشعر رؤسهم سبط اسود فاحم الَّا انهُ غير مسترسل. وعيونهم سوداء نجلاء غائرة وحواجبهم مزجَّجة يغلب عليها وعلى اهدابهم الوطَفُ واصداف آذانهم صغيرة رقيقة وهم مستورو الوجوه حُمش السوق دقيقو الخصور مُبهفون رخصو البنان تكاد تُعقد للطافتها. وفي اعضائهم من النشاط والخفَّة وسرعة الحركة وقبولها لغرائب اللفتات والتموُّجات والتلوّيات ما لا يُرى مثلها في اعضاء سائر خلق الله اجمع. وهذا هو سبب اتيانهم عجائب الاعمال وخوارق الافعال ما لا يستطيع ان يجاريهم في ذلك الَّا قليل يُعدّ على الاصابع. وهم يرثون اولادهم من اناث وذكور منذ نعومة اظفارهم على مثل هذه الامور بلوغًا للغاية التي يتوخونها من ورائها

٩ (حيلهم) قد اشتهر هذا الجيل من الناس بكثرة حيلهِ الغريبة. وتنوُّع اساليبها العجيبة. توصلًا الى خداع الاغرار. بل والى خداع العلماء الكبار. ان في سالف الزمان. على ما تشهد بهِ الآثار. وان في هذا الاوان. على ما تتناقلهُ لنا صُحف الاخبار. اما حيلهم فقد كشف عن حقائقها العلم بما لم يُبقِ في ذلك ادنى ريب او ابهام. واما في غابر الاعصار فقد ذكرها جماعة من مشاهير الاعلام الاحبار. منهم صاحب كتاب كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون. فقد قال في فصل «علم الحيل الساسانيَّة» ما نصهُ بحروفهِ الاصليَّة: «ذكرهُ ابو الخير من فروع علم السحر. وقال: علم يعرف بهِ

طريق الاحتيال في جلب المنافع وتحصيل الاموال والذي يُباشرها يتزيّا في كل بلدة بزيّ يناسب تلك البلدة بان يعتقد اهلها في اصحاب ذلك الزيّ فتارةً يختارون زيّ الفقهاء وتارةً يختارون زيّ الوُعاظ وتارةً يختارون زيّ الاشراف الى غير ذلك. ثم انهم يحتالون في خداع الاعوام بامور تعجز العقول عن ضبطها. منها ما حكي واحد انهُ رأى في البصرة قردًا على مركب مثل ما يركبهُ ابناء الملوك وعليهِ ألبسةٌ نفيسةٌ نحو ملبوساتهم وهو يبكي وينوح وحولهُ خدَمٌ يتبعونهُ ويبكون ويقولون: « يا اهل العافية اعتبروا بسيدنا هذا فانهُ كان من ابناء الملوك عشق امرأةً ساحرة وبلغ حالهُ بسحرها الى ان مُسخ الى صورة القرد وطلبتْ منهُ مالًا عظيمًا لتخليصهِ من هذه الحالة » والقرد في هذا الحال يبكي بانينٍ وحنينٍ والعامّة يرقّون عليهِ ويبكون وجمعوا لاجلهِ شيئًا من الاموال وامثال هذه كثيرة. قلتُ: ذكر هذه الحكاية ايضًا في تاريخ ميرخوند وكتاب المختار في كشف الاستار بالغ في كشف هذه الاسرار ». انتهى كلام الحاج خليفة

ومِمَّن ذكر حيل بني ساسان صاحب القصيدة الساسانيّة التي ذكر بعضًا من ابياتها الثعالبيّ في يتيمة الدهر. ونحن نورد هنا منها ما يُناسب المقام ويفي بالمرام. وفيها ابيات مختلّة الوزن تركناها بحرفها قال. . . . .

ومنّا الشيربون بنو الحيلة والمكرِ (١
ومنّا المصطبانيو ن من تيزَقَ بالأشرِ (٢
ومنّا كلّ زمكدانٍ غدا محدودب الظهرِ
ومنّا كل مطراش من المكلوذة البترِ (٣
وفي المدرجة النبرا . منّا سادةُ الغبرِ (٤
ومنّا كلّ قنّاء على الانجيل والذكرِ (٥

---

١) الشيربون: الذين يتناقفون على دوابّهم كالنزاة

٢) المصطبانيون: قوم يزعمون انهم خرجوا من الروم وتركوا اهاليهم رهائن عندهم فطافوا البلاد ليجمعوا ما يفكّونهم بهِ وتكون معهم شورهم ويقال لذلك الشرِ « المصطبان ». - وتيزَق كدّى

٣) المطراش: الذي معهُ يدهُ المقطوعة يكدّي عليها. ويقال لليد المقطوعة « المكلوذة »

٤) المدرجة: هؤلاء قوم يعتقدون ويناهون في السكك والاسواق على طريق المارّة ومدرجة الرياح فتطوهم غبرة التراب حتى يُرحموا او يُعطوا

٥) القنّاء: الذي يقرأ التوراة والانجيل ويوهم انهُ كان يهوديًا او نصرانيًا فاسلم

ومن ساق الولا بالما ... او فوس ابي حجر (١
ومن طمشل او زنكل او سطّل في السرّ (٢
ومن زقّى الشنانات غدًا آتٍ وبالعصر (٣
ومن دشّش او رشّش او قشّش يستدري (٤
ومن يُزنق او يحتبش او يُذلّق بالدبر (٥
ومنّا كل مُستعمش من النمّارة الكدر (٦
ومن شدّد في القول ومن ومد في القصر (٧
ومن يزرع في الهادو ر تكبيحًا من البذر (٨
الى ان يقع التنبل في محصدة الحذر (٩

ونقف عند هذا الحدّ من ايراد حيل هؤلاء الاقوام نقلًا عن يتيمة الدهر ومن اراد الاحاطة بها فليطلبها هناك. هذا واكثر الحيل المذكورة جارية حتى اليوم في بعض

---

١) ومن ساق: هؤلاء قوم يسترون الناس الماء. والولاء ان يقف فيقول: انا المولى الابطحي. ومنهم من يكون معهُ فوس عربية. واول من فعل ذلك في الحَضَر ابو حجر

٢) طَمْشَل: اذا علق لسانهُ وتشبّه بالاعراب. وزنكل: اذا احتال في سلبهم. وسطّل: اذا تمادى وهو بصير. يقال للاعمى: «الإسطيل»

٣) زقّى: اذا صلّى. والشنانات: المساجد. واحدها شنانة. يكذّبون فيها اذا صلّى الناس

٤) دشّش: يظهر شبه الدشيشة في استهِ احتيالًا. ورشّش: اذا رشّ الناس بمائهِ. وقشّش: اذا آذى الحضور برواتحهِ الكريهة فيطردونهُ حتى يخرج من جماعتهم

٥) يُزنق: يثقب في بدنهِ ثقبةً وينفخ فيها حتّى يتورّم بدنهُ. ويحتبش: يضع المنديل في رقبة نفسهِ ويخنقهُ حتى ينتفخ راسهُ ووجههُ. ويذلّق: يمشي عريان الاست

٦) مُستعمش: قوم يدورون على ابواب الدور فيما بين العشاءين ويقولون: «رحم الله من عشّى الغريب الجائع» وينمرون بذلك حتى يأخذوا من كل دارٍ كسرةً ويرجعوا بها

٧) ومن شدّد: قوم يكون معهم دفاتر حديثةٍ يروونها ويشددون على الناس في الفحش وشرب الخمر. والقَصْر: هو الاتون يدخلهُ الواحد من القوم فيطرح نفسهُ في الرماد ثم يخرج وعليه غبرة الرماد ويوهم أنهُ آوى اليه من شدّة البرد وعدم الملبوس

٨) ومن يزرع في الهادور: قوم ينظرون في الفال والزجر والنجوم ويطون قومًا دراهم حتى يأتوهم ويسألوهم عن نجمهم وعمّا هم فيهِ فينظروا لهم ثم يردّون الدراهم عليهم ويربما اخذوها وقالوا: «لا ناخذها لان نجمك ما خرج كما تريدهُ». والهادور: كلام المَلْفَظة التي يجتمع الناس عليها. والتكبيح: المانعة

٩) التنبل: هو الابله الذي يقبل الخاريق على نفسهِ وينمرّ بما يورد النجم عليهِ فيخرج هو ايضًا دراهمهُ طمعًا في ردّها فيأخذها منهُ ويسخر بهِ

تحلّت بغداد واسواقها وعند مدخل الجوامع مما يقضي منهُ العجب كل مشاهد

١٠ (آدابهم وعوائدهم واخلاقهم) لا حاجة الى التفصيل في ذكر آداب هذا الجيل. فان في شهرتها ما يغني عن إبانتها. الّا انهُ قياماً بايفاء كلّ بابٍ حقَّهُ. واجافاً للمطالع على البحث كلهِ ليستطيع ان يقول بعدهُ اخذت جلّهُ ودقّهُ. نذكر طرفاً منها. ممّا لا يُمكن ان يُصرف النظر عنها

فاول شيء اشتهر بهِ بنو ساسان هو السرقة بانواعها من سلبٍ واختلاس وخزابة (سرقة الدواب) وهم يُدرّبون ولدانهم على ذلك من ذكور واناث منذ نعومة اظفارهم ويُقيمون لهذه الغاية في ضواحي المدينة لكي يتمكّنوا من السرقة ويبقوا مع ذلك مجهولين واخصّ الاشياء التي يفضلون سرقتها هي انواع الثياب والملبوسات والحلي النفيسة والنقود والدواب. فاذا كانت الكميّة المسروقة زهيدة الثمن بقي السارق بين ظهراني اصحابهِ وان كانت مهمّة ذات بال تنحّى عن قومهِ مع بعض اصدقاء لهُ وضرب خيمتهُ في محلّ بعيدٍ عنهم او طوى بساط الاقامة بالمرّة وحدهُ او مع قومهِ واصلًا السير بالسُرى الى ارجاء بعيدةٍ. وربما قد أُولعوا بسرقة الاطفال وبالخصوص الذكور منهم فكم وكم من الصغار الذين توارروا عن الابصار ولم يُوجد لهم اثرٌ من الآثار وكان هؤلاء الاشقياء الاشرار هم سبب لوعة الوالدَين فيورثونهما حزنًا لا يمحوهُ تعاقب الليل والنهار

وربما يدخل تحت هذا الباب تزييف الدراهم وتقليدها فهم ادهى دُعاة خلق الله من هذا القبيل ولا يوافي البلاد هؤلاء الهمج الّا ويتطاير في الاسواق اصوات المخدوعين من كل ناحية حتى تكاد المرائر تتفطّر والقلوب تتصدّع ممّا يُرى من عدد المتردين ويسمع من نواحهم وعوياهم وشهيقهم

واما من جهة عفّتهم فلا اثر لهذه الفضيلة بين هؤلاء الاقوام الاجلاف مهما زعم الزاعمون ودافع عنهم المتعرّضون بل اذا اردنا وصف آداب هؤلاء السفلة من هذا القبيل جفّ رُضاب القلم حياء وانقبضت النفوس الابية عن مطالعة تلك المنديات الخارجة عن كل طورٍ. على انهُ ما لا يترك جلّهُ لا يُترك كلّهُ وعليهِ فلنذكر عنا ما يسعهُ نطاق هذه المجلّة

واوّل كل شيء نقولهُ هو ان هؤلاء الطغام يأتون كل منكرٍ معروف يُشوّه محيّا هذه الفضيلة السامية الملكيّة بل انهم يرتكبون ما لا يتصوّرهُ وهمٌ ولا يخطر على بال

بشر وبهذا كفاية عن حوض عباب هذا البحر الثجّ القذر الذي لا يقربهُ احدٌ الّا ويتأذّى به شرّ اذية . وممّا يمكننا قولهُ هو ان شيرة فساد هؤلاء الاوباش بلغ مبلغاً دفع كثيرين من ادباء العراق المصلحين الى القول ان مواليد الكاولية من الاناث يَلدنَ غير ابكار . وهذا وحدهُ يدلُّك على ما وراء هذا الحجاب من انتهاك حرمة الطهارة . واذا بلغت الابنة سنّ الحلم دفعها ابواها الى الفجور او ما يُقاربهُ وكذلك يفعلون بالغلمان وكثيراً ما يبيع الاهالي اولادهم من ذكور واناث لبعض المفسدين او المسافرين او الذين يترقون بالخلاعة . فاذا كان الامر كذلك فكيف يمكن ان يشبّ هؤلاء الاشقياء على غير حبّ الفحشاء والدعارة وزد على ذلك ان البيت الواحد او الخيمة الواحدة التي لا تزيد على مترين او ثلاثة امتار طولاً في متر او متر ونصف عرضاً تسكنهُ عائلة (١ او عائلتان يُربي اعضاؤها على العشرة . واذ لم يتيسّر للاهل دفع اولادهم للفجور والتسبُّب من وراء هذا السحت علّموهم الدقّ على آلات النقر والعزف والغناء وما ضاهى هذا الفنّ . ودفعوهم الى مهبّ كل ريح مُلزميهم بجميع المال بالحرام او الحلال بل باي حالٍ من الاحوال (التتمّة للقادم)

---

(١) قد جاء في البيان (سنة ١٨٩٧ — ١٨٩٨ ص ٦٠٥) : « عائلات ليس من اللفظ العربي الصحيح . انما يقال عيال الرجل لاهل بيته الذين يعولهم » . اه وجاء في الضياء (١ : ٦٧٤) : « لم نبرح الى يوم كتابة هذه السطور نرى تلك الاغلاط تتكرّر في كلامهم فنجد في الفاظهم امثال « العائلة » . . . الخ . قلنا : ان لفظة العائلة فصيحة لا عُبار عليها وهي فاعلة بمعنى مفعولة وكذلك « عَيّل » فانها فصيحة . الّا ان الذي دفع بعضهم الى القول بعاميّتها بمعنى الأسرة او العشيرة هو ما رأوا في كُتب اللغة من تعريف العيال بانها تُقال لاهل بيت الرجل الذين يعولهم من امرأة واولاد وخَدَم الخ . لكن يُرَدُّ على هؤلاء بقولنا : اذا كان العَيّل بمعنى الذين يتكفّل بهم الرجل ويعولهم فأحرِ بهذه اللفظة ان تُستعمل للعشيرة بما انها هي الاولى بذلك من غيرها ممن يعولهم الرجل . واما كون العائلة عاميّة لعدم وجودها في دواوين اللغة فليس هذا دليلاً كافياً على عاميتها . اولاً لان القياس لا يأباها . وثانياً ان صاحب محيط المحيط واقرب الموارد قد ذكراها بكونها من المقيسات . وثالثاً انها وردت في كلام عُمر بن الخطّاب . قال في كتاب الخراج لابي يوسف : « ان نجدة كتب الى ابن عبّاس رضه يسألهُ عن سهم ذوي القربى لمن هو . فكتب اليهِ ابن عبّاس : كتبتَ اليّ تسألني عن سهم ذوي القربى لمن هو وكنا نرى انا هم فدعانا الى ان نكح منهُ ايّما ونقضي منهُ عن مغرمنا ونخدم منهُ عائلنا فأبينا الّا ان يسلمهُ لنا وأبى ذلك علينا » . انتهى